د. روني خليل

## !انسانٌ، حضارةٌ ودينُ

عناصر ثلاثة حين تجتمع، تُنتج ما يُبهر النظر ويدهش العقل ويروي القلب، فما نعيشه اليوم هو عصارة هذه الحضارة الإنسانية التي مرّت عبر آلاف السنين بمراحل عدّة، حتى وصلت لهذا المستوى من التطوّر والنهضة، تزامنت مع نشوء الأديان السماويّة التي كرّست مبادئ الإنسانية في التعامل البشري والطبيعي ومبادئ الايمان في العلاقة مع الخالق .

فبالصلاة يمجّد الإنسان الخالق، ليس لطلب أي نعمة أو لسدّ عوز، بل لشكره على عطاياه ولتسبيحه. وبالإلتزام الدينيّ يكرّس مبادئ إنسانيّة وحضاريّة تخدم البشريّة، فالمسجد ليس فقط للصلاة، إنّما مكان يجمع في طيّاته أبعادًا ثلاثيّة؛ بعدٌ ديني، فهو مكان للصلاة والتعبّد، بعد تربويّ، فهو مكان علم. وبعدٌ سياسيّ ـ وطنيّ فهو مكان لبنيان الإنسان سياسيًّا ووطنيًّا. وكذلك الكنيسة؛ فهي مكان صلاة وتنشئة ثلاثيّة الأبعاد أيضًا. وإذا رجعنا بالتاريخ، لرأينا مئات المدارس أقيمت بالقرب من أماكن العبادة .

وما الكتب السماويّة، سواء أكان الإنجيل المقدّس أو القرآن الكريم، إلّا خير دليل على هذا المنحى الإنسانيّ في العلاقات كلّها، فهي أسس تنظيميّة في شتّى الميادين إضافة إلى كونها مرتكزات دينيّة إيمانيّة تشدّ المؤمن الى الله وتعرّفنا على مزاياه وهباته اللامحدودة، فينشأ هذا الرابط بين المنظور واللامنظور، بين المحدود واللامحدود، بين الأرض والسماء، بين التجرّد واللامحسوس، بين الرؤية والرؤيا، بين التجسّد والألوهية، بين المنطق والإيمان البريء ...

"بيّنات" عدّة لولا الإيمان بالله، لجعلتنا بحالة شكّ دائمة. لتأتي بعدها قوّة الخالق وتثبت هذه العلاقة اللامنظورة، عبر معجزاته، عبر أنبيائه وأعمالهم، وعبر نظام الطبيعة المتناهي بدقّته

**وتفاصيله، فينشدّ الإنسان إلى الله مجددًا ويتماهى معه في مسيرة الحضارة والتجدد والتحديث.**

**تلعب النخب المدنيّة دورًا في رقيّ الشعوب عبر ما تقدّمه من معارف وخبرات وإنجازات، وقد تستفيد هذه النخب من تجارب الأقدمين وعلومهم، فالحياة البشريّة مسيرة لا حدود لها، خلقها الله ووجدنا نحن في مسارها كي نكمل الطريق، "فأنتم السابقون ونحن اللاحقون" سورة لطالما رددها الأقدمون وستردد على ألسنة الأجيال القادمة .**

**أتت الأديان والكتب السماويّة لتضع مسارات إنسانيّة وحضاريّة للبشريّة، تماشيًا مع حياة الإنسان المطبوعة في الأساس على الخير، غير أنّ غريزته المادّية والنفسانيّة والبشريّة قد تنحو به إلى سلوك الشرّ وإلحاق الأذى بأخيه الإنسان، فتأتي التعاليم الدينيّة لتحاول ضبط هذه الممارسات أو بالأحرى للحؤول دون وقوعها ولترسيخ العلاقة السليمة بين الإنسان والخالق.**

**علاقة جدليّة، عاشتها الشعوب منذ آلاف السنين ولم نزل حتى يومنا هذا في صراع بين؛ الخير والشرّ، التديّن والإلحاد، القيم والرذيلة، الصدق والرياء، الروح والمادّة...**

**أضداد عدّة تدخل يوميًّا في صلب حياتنا، فبقدر تعمّقنا بمعرفة الله وفضائله وبمعرفة الإنسان وقدراته، بقدر ما نتّجه لعمل الخير والصلاح، وبقدر ما نسمح لغرائزنا الشهوانيّة بالسيطرة على روحنا الانسانيّة، بقدر ما نتيح لها السيطرة علينا وإخضاعنا لها فنصبح رهائن الذات المادّية الدنيئة...**